

## الأحلام

للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون

بقلم الرومانساز ألبير نادر

[ ترجمة المحاضرة التي ألقاها الفيلسوف هنري  
برجسون في دار المهذب العام لعلم النفس ]

إن المحاضرة التي أُعهد إليَّ بإلقائها مقعدة ومثيرة لمسائل عديدة : منها ما يتعلق بعلم النفس ، ومنها ما يتعلق بعلم الحياة وأيضاً بما وراء الطبيعة . والموضوع يتطلب شرحاً طويلاً ولدينا التصير من الوقت ، لذلك أطلب إليكم أن نعفوني من كل مقدمة حتى نبحث الموضوع مباشرة

هاك حلم : أرى أشياء مختلفة تمر أمامي وليس واحد منها موجوداً فعلاً - - - يخيل إلي أنني أعود وأروح ، أمر بسلسلة من الحوادث بينما أنا نائم في فراشي بكل هدوء . أسنى إلي نفسي تتحدث وأسمع من يجيبي ، ولكن أنا لا أفوه بشيء . فن أين هذا النوم ؟ لم ندرك أشخاصاً وأشياء كأنها موجودة حقيقة ؟ ألا توجد أشياء حقيقة ؟ أليست هناك بعض الراد الحسية تنهياً أمام السمع أو البصر أو اللمس الخ ... في وقت النوم كما هو الشأن في وقت اليقظة ؟

لنغمض أعيننا ونرى ماذا يحدث . كثيرون من يقولون إنه لا يحدث شيء لأنهم لم يتبصروا في الأمر ، ولكننا في الحقيقة نرى أشياء عديدة : أولاً نرى قاعاً أسود ثم بقعاً مختلفة الألوان باهتة حيناً وبراقة حيناً آخر ، وهذه البقع تتمدد وتقبض ، تبدل ألوانها وتتجدد الواحدة منها الأخرى . وهذا التبدل يمكن أن يكون بطيئاً متدرجاً ويمكن أن يتم في بعض الأحيان بسرعة شديدة . فن أين هذه التخيلات ؟ . تكلم علماء الحياة وعلماء النفس عن « غبار متير » وعن « طيف بصرى » وعن « شرار العين » فترام ينسبون هذه الظواهر إلى التغيرات البسيطة التي تحصل باستمرار في الدورة الدموية في شبكة العين ، أو إلى الضغط الذي يسببه الجفن المقفل على القلة والذي يؤثر تأتراً آلياً على العصب البصرى - ولكن قلنا بهننا شرح

الحادث أو الإسم الذي يطلق عليه - إن هذا الحادث علم لدى الجميع ويقدم بلاشك المادة التي ننقش عليها كثير من أحلامنا . لاحظ ألفريد موري كما لاحظ في نفس الوقت الماركز درني دي سان ديبى أن هذه البقع الملونة ذات الأشكال المتحركة المتقلبة يمكنها أن تثبت عند ما نحمل ؛ فترسم حينئذ دوائر الأشياء التي تكون الحلم . ولكن علينا أن ننظر إلى هذه الملاحظة بعين الحذر لأنها ناجمة عن علماء نفس أنصاف نسيم . تصور الفيلسوف الأميركي لار الأستاذ في جامعة يال طريقة أكثر إحكاماً ولكنها صعبة التطبيق لأنها تتطلب شيئاً من المراتب . تنحصر هذه الطريقة في إبقاء العينين مغلقتين عند ما نستيقظ والمحافظة مدة لحظات على الحلم الآخذ في الزوال من حقل البصر وبالتالي من حقل الذاكرة . ترى عندئذ موضوعات الحلم تتحول إلى شرار العين وتخرج بالبقع الملونة التي كانت تشاهدها العين حقيقة عند ما كان الجفنان مغلقين . فإذا كنا نطالع جريدة مثلاً فما هو الحلم يتكون ثم تستيقظ وتبقى من الجريدة التي ارتبعت سطورها في العين بقعة بيضاء وبعض السطور السوداء المهمة . هذا ما في الواقع . أو إذا كنا نتره في عرض البحر بالحلم ، وعلى مدى البصر كان المحيط ينشر أمواجه الرمادية التي تسكلها رغبة بضاء . فعند اليقظة كل هذا يتلاشى في بقعة كبيرة اللون الرمادي الباهت تتخططها نقط براقية . البقعة موجودة وكذلك النقط الالامعة ؛ إذاً يوجد غبار بصرى بدا لإدراكنا أثناء النوم وهذا الغبار يستعمل في صنع الحلم

هل يستعمل هذا الغبار وحده فقط ؟ لكي نختصر الحديث على حاسة البصر نقول إنه بجانب الإحساسات البصرية الصادرة من الداخل توجد إحساسات أخرى صادرة عن سبب خارجي . مهما يكن الجفنان مغلقين فالعين لا تزال تميز بين النور والظلام وتتميز أيضاً - إلى حد ما - على نوع النور ؛ لكن الإحساسات الناجمة عن نور حقيقي هي أصل لكثير من أحلامنا ، فشمعة تضاء فجأة تحدث عند النائم عدة رؤى تسود فكرة الحريق ويذكر تيسيه مثلين لذلك : « فلان يحلم أن النار تلتهم مسرح الإسكندرية واللب يضيء حياً بأثره ، وجماعة يجد نفسه قد انتقل إلى ميدان القناصل ، وهناك يرى شريطاً من النار يجري على مدى

هناك ينشأ وبين محدثنا تبادل مباشر في الأفكار ، محادثة ساكنة - إنه لحدث غريب ولكنه مهمل التفسير - فلكي نسمع أصواتاً في الحلم يجب أن تكون هناك دائماً أصوات حقيقية نحس ونشعر بها لأن الحلم لا يصنع شيئاً من لا شيء ؛ وإن لم تقدم له مادة رنانة فيصعب عليه أن يصنع ما هو رنان . ومن جهة أخرى يتدخل اللمس بقدر ما يتدخل السمع ، فأى لمس رأى ضفط مهما قل يصل إلى الوجدان أثناء النوم خاصة اللمس قمر بتأثيرها الصور الموجودة حينئذ في الحقل البصرى ؛ وعليه يمكننا أن نفسر شكل هذا الحقل ومعناه . لنفرض أننا نشعر فجأة بلامسة الجسم مع القميص فالتأم يتذكر أن ما يرتديه من ملابس خفيف . وإذا ظن حينئذ أنه يتنزه في الشارع فإنه سيظهر أمام أعين المارة في هذا اللباس البسيط جداً . ولكن المارة لا تتأثر من هذا لأنه نادراً ما تبدو الأشياء الخارقة التي نستلم إليها في الحلم ، مشيرة لدهشة المرقيين بينما نحن بغيرنا منها الحياء والحجل .

أبير نادو

( يتبع )

السلاسل التي يربط بعضها ببعض علامات الحدود الغليظة الموجودة حول الحوض ، ثم يجد نفسه في باريس في المرض وقد التهمت النار ... يشاهد مناظر مؤلمة الخ ... فيستيقظ بغتة : إن عينيه كانتا متأثرتين بجزمة النور المنبعث من مصباح الواعية وهي تمر في جولتها الليلية وكانت قد سلطت الصباح على السرير فلان آخر يحلم أنه التحق بوحدة مشاة البحرية حيث خدم سابقاً - يذهب إلى نوردي فرانس ، إلى طولون ، إلى لوريان ، إلى القرم ، إلى القسطنطينية ، يشاهد برقاً ، يسمع رعداً ، ثم يشاهد معركة يجد فيها النار تخرج من أفواه المدافع فيستيقظ - ومثل فلان الأول استيقظ بسبب النور المنبعث من مصباح الواعية عند مرورها « - هذه هي الأحلام الناتجة عن نور شديد مفاجئ .

لكن الأحلام الناتجة عن نور مستمر ولطيف ( خفيف ) مثل نور القمر فتختلف عن الأولى بعض الاختلاف - يذكر كراوس أنه ذات ليلة عندما استيقظ لاحظ أنه لم يزل يمد ذراعيه نحو ما كان يظنه في حلمه عادة ، ولم تكن سوى القمر يرسل له شعاعه - إن هذه الحادثة ليست فريدة في نوعها - يظهر أن شعاع القمر عند ما يداعب أعين النائم يمكنه أن يثير رؤى طاهرة . أليس هذا ما تذكره قصة أنديمون : « الراعى النائم دائماً الذي تحبه الإلهة سيلينيه ( أى القمر ) حياً جماً ؟ ... » للأذن أيضاً إحساساتها الداخلية مثل الطنين والرنين والصفير التي لا تقوى على تمييزها وقت اليقظة ولكن النوم يبرزها بكل وضوح - لا تزال ونحن نألمين نسمع بعض الأصوات الآتية من الخارج مثل طقطقة دولاب أو تلالؤ النور أو صوت المطر المنهمر على النافذة أو الريح المنقلب النعرات ؛ فكهاها أصوات تصدم الأذن ويحولها الحلم إلى محادثة ومخارج وألحان الخ ... حاك بعضهم مقصداً بملقط أمام أذن الفريد موري وهو نائم ، ففي الحال حلم أنه يسمع صوت المدفع ويشاهد حوادث ١٨٤٨ - ويمكن أن أسرد لكم أمثلة أخرى ولكن يجب أن يكون للأصوات نفس الأهمية التي للأشكال والألوان في أغلب الأحلام - إن الإحساسات البصرية لها الأسبقية وفي غالب الأحيان ترمى فقط حينئذ نظن أننا نسمع أيضاً ... ويلاحظ مكس سيمون أننا نقوم بمحادثة كاملة في الحلم ، ونلاحظ بغتة أنه لا شخص يتحدثنا ولا أحد يتكلم - لقد كان

## سينما ستوديو مصر

إبتداء من الإثنين ٢٤ مايو

شركة ر . ك . و . راديو

تقديم

الفيلم الغرابي الرائع

## « امرأة تتحدى الحب »

تمثيل

جوزيف ككوتز - دولوريس كوستللو

نيم هولت - آن باكستر

سجل تجارى ٢٩٧٣